**المحاضرة الخامسة :**

**مفهوم الشعر عند النقاد القدامى**

نظرا للأهمية التي اكتسبها الشعرأصبح مادة للبحث والنقد بغية تحديد ماهيته ومقومات بنائه ومواطن جماله.

**- الجاحظ**

ألم الجاحظ بهذه الفكرة حين عرض لاستحسان أبي عمرو الشيباني لبيتين من الشعر وهما :

لا تحسبنّ الموت موت البلى فإنما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن ذا أفظع من ذاك لذلّ السؤال

أنكر الجاحظ على أبي عمرو الشيباني هذا الاستحسان ، وأن ليس في البيتين إثارة ، والخطأ الذي وقع فيه أبو عمرو الشيباني في تصور الجاحظ هو انطلاقه في حكمه على البيتين من عنصر المعنى .

لكن الجاحظ لا يرى المعنى الحكيم وحده شعرا، فإن المعاني الحكيمة والمواعظ الدالة متاحة لكل الناس ، أيًّا كانت أعراقهم وبلدانهم .

يقول الجاحظ : " وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى ، والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي ، والعربي ، والبدوي والقروي ، والمدني ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع وجودة السّبك ، فإنما ا شعر صناعة ، وضرب من النسيج وجنس من التصوير".

فمفهوم الشعر عند الجاحظ ، أنه يستخدم مادة أولية ويحولها بفضل إعمال الصناعة فيها ، فإذ بالشاعر صانع ونسّاج ورسام ، فالشاعر عنده يستعمل براعة التشكيل والرسم حتى يخلق شيئا جديدا مؤثرا .

**-ابن طباطبا :**

يعرف ابن طباطبا الشعر في كتابه " عيار الشعر" بقوله : " الشعر \_ أسعدك الله \_ كلام منظوم ، بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم ، بما خص به من النظم الذي إن عدل عن جهته مجته الأسماع ، وفسد على الذوق . ونظمه معلوم محدود ، فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه ، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به ، حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه ".

إذا تأملنا النص استخلصنا أن :

\_ الشعر كلام منظوم

\_ أن النظم هو الذي يميز الشعر عن الكلام المنثور المستعمل في مخاطبات الناس ، والنظم هنا هو الوزن .

\_ كل من توفر فيه الطبع الصحيح والذوق الصحيح ، لم يكن بحاجة إلى العروض.

\_ النظم الذي يطرحه ابن طباطبا هو النظم الذي تلتحم عناصر الشعر وما يلزمها من استعدادات نفسية وذوقية وطبعية ضرورية للشاعر.ومن هنا يقدم ابن طباطبا تصورا للشعر الجيد ، المؤثر في المتلقي ، من خلال العناصر المكونة له والتي تتمثل في اعتدال الوزن وصحة المعنى وعذوبة اللفظ .

* **قدامة بن جعفر**

وضع قدامة حدا ليميز به الشعر عن ما سواه ، فالشعرعنده: " قول موزون مقفى يدل على معنى "، فهو هنا يحدد الشعر بأربعة عناصر ، وهي اللفظ والوزن والقافية والمعنى ، وهي الأركان الرئيسة المتواضع عليها من النقاد السابقين بدءا من الجاحظ.

إن تصور قدامة لمفهوم الشعر وحدّه يضعه في دائرة التفكير المنطقي حيث وضع حدود الشعر وهي مكوناته الأساسية ، ثم نظر في هذه المكونات وأن لها صورة الجودة وصورة الرداءة وبتحديد حظ كل من مكونات الشعر من الجودة والرداءة يميز جيد الشعر من رديئه.

وعلى الرغم من الدقة المنطقية التي استخدمها القدامى في وضع الحدود للشعر ، إلا أن نظريته لم تلقى ترحابا كبيرا من بعض النقاد.

* **ابن رشيق القيرواني**

لم يبتعد ابن رشيق عن تعريف قدامة بن جعفر للشعر ، إنما نجده يضيف فقط النية التي يعقدها الشاعر قبل نظمه ، حيث يقول : " الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء وهي : اللفظ ، والوزن ، والمعنى ، والقافية ، فهذا هو حد الشعر ؛ لأن من الكلام موزونا مقفى وليس بشعر ؛ لعدم القصد والنية... ".

هناك من النقاد من عاب على ابن رشيق هذا التعريف ، إذ افتقد الشعر أحد العناصر الأساسية " فقد يقصد الشاعر إلى أن يقول شعرا ألف قصد وقصد ، ويتكلف وزن كلامه ...غير أن ذلك كله ما كان ليشفع لكلامه الذي قصد هو إلى شعريته كيما يكون شعرا ...وإنما يكون شعرا فقط إذا توافرت فيه خصائص الشعرية.

ركز ابن رشيق على مسألة الإحساس ، لأن الشعر عنده " ما أطرب وهز النفوس وحرك الطباع فهذا هو باب الشعر الذي وضع له وبني عليه ".

**- حازم القرطاجني**

وهو من النقاد العرب الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية ويظهر ذلك جليا في تعريفه للشعر حيث يقول :" الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ، ويكره إليها ما قصد تكريهه ، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه ، بما يتضمن من حسن تخييل له ، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام ، أو قوة صدقه أو قوة شهرته ، أو بمجموع ذلك . وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب . فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها " .

إن أول ما يميز الشعر أنه كلام موزون مقفى ويذكرنا هذا بتعريف قدامة بن جعفر .

يرى حازم القرطاجني أن بغية الشاعر من وراء الإبداع الشعري هو إحداث انفعال لدى المتلقي ، إما أن يحبب له شيء فيطلبه ، أو أن يجعلها تكرهه وتنفر منه ، والقوة التي تجعل المتلقي يحب أو يكره تسمى

التخييل .

يتراءى لنا أن التخييل عمود الشعر ، وركنه الأساسي الذي لا يقوم إلا بوجوده .

وقد أعطى حازم حظا وافرا للمحاكاة في إحداث التخييل ، والمحاكاة في اللغة التقليد والمشابهة ، فالمحاكاة تكون نتيجة لعلاقة الشاعر بواقعه ، أما التخيل فهو تجسيد تلك المحاكاة داخل العمل الشعري باعتماد عنصر الخيال أما التخييل فهو الأثر الذي يتركه العمل في المتلقي .

إن التخييل عند حازم هو المعتبر في صناعة الشعر ، فالشعر كلام مخيل سبيله إلى التخييل هي المحاكاة بمعنى التمثيل والتشبيه .

ويظل ابن سيناء هو معتمد حازم القرطاجني في وضع كتابه منهاج البلغاء فقد تبنى تصوره للشعر اليوناني ويبني كتابه كله على أن الشعر محاكاة وتخييل ، وهذه تمثل وثاقة العلاقة بينهما .

إن التخييل مرتبط بفاعلية التأثير في المتلقي ، حيث أن هذا الأخير يعيد تركيب الصور التي يجدها في الخطاب الشعري ، وعملية إعادة التركيب هي التي توسم في اصطلاح حازم بالتخييل ، في حين توسم عملية ترتيب الصور في ذهن الشاعر المبدع بالتخيل .

ولا يفهم من المحاكاة النقل الحرفي للواقع ، بل إن الشاعر يختار بعض جوانب الموضوع ثم يعمل على الإبداع فيه .

يشكل التخييل جانبا مهما في صناعة الشعر فبقدر ما يتلذذ المتلقي بالعمل الشعري بقدر ما يحكم على نجاح العمل فيه ، فالعمل الشعري تتحدد قيمته من خلال تأثر وتلذذ المتلقي به .

وهكذا يمكن القول أن المحاكاة والتخييل مقومان أساسيان في تحقيق مفهوم الشعر عند حازم القرطاجني .